إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الأولى – العدد الرابع – شتاء ۱۳۹۰ش/كانون الأول ۲۰۱۱م

دراسة الرجز فى العصر الإسلامى

سيد محمد رضى مصطفوى نيا*

الملخص

كان الرجز أحد الأركان الأصلية فى الحروب الماضية، الركن الذى كان يلقى لبواعث مختلفة مثل إيجاد الخوف فى قلب العدو وتعزيز قوى الروحية للجيش و... . رغم أن الرجز فى العصر الجاهلى والعصور التالية استخدم فى الموضوعات المختلفة، مثل الأراجيز التى حتى أنشدت فى وصف بعض الحيوانات كالضبع والفأر والحية، لكن علينا أن نعدّ مصدر الرجز الأصلى، معركة القتال. فنبحث فى الرجز بواسطة هذه المضامين الأصلية كمرآة لتبيين الثقافة والرسوم والعقائد، تبيينا تاما فى العصرين الجاهلى والإسلامى إذ إنّ لهذه الأراجيز لغتها الخاصة بها فى كل عصر؛ فنرى فى العصرين الجاهلى والإسلامى ضعفا وشدة للمعانى المطروحة للرجز حيث نلاحظ فى العصر الإسلامى طرح المعانى الجديدة كالصمود، والصبر، والوفاء، ونصرة النبى(ص)، والأئمة(ع) و... بدل القتل، والسلب، والتفاخر على القبائل الأخرى، والهجو، والذم و... .

إنّ أدب المقاومة الذى يعدّ من مظاهر الشعر الحماسى نبع من صميم الثقافة الشيعية وذاتها كما تأثر هذا الأدب كثيرا بحماسة كربلاء. فانطلاقا من ذلك تتعرّض هذه المقالة كذلك لتحليل أراجيز أصحاب سيد الشهداء معتمدة على طريقة التوصيف والتحليل.

الكلمات الدليلية: الرجز، أهل البيت (ع)، كربلاء، الحماسة، العصر الإسلامى.

*. عضو هيئة التدريس بجامعة قم – أستاذ مساعد.
التنقيح والمراجعة اللغوية: د.مهدى ناصرى
Mahdinaseri23@yahoo.com
تاريخ الوصول: ۱۳۹۰/۹/۲۵هـ. ش   تاريخ القبول: ۱۳۹۰/۹/۲۹هـ. ش

المقدمة

يعتبر الرجز المظهر التام لظهور العقائد والإحساسات والآمال، الذى يختاره الراجز لتعريف نفسه ودواعى مشاركته فى الحرب. يتم وضع هذا الفن المنيع فى الأدب العربى تحت المجهر فى هذا البحث العلمى حتى يتبين لنا سير تحول هذا الفن من العصر الجاهلى إلى العصر الإسلامى خاصة تطوره فى المعنى والقيم السائدة فى الأراجيز، التحول الذى غير أركان الأراجيز فى المعانى ببزوغ فجر الإسلام، وأعطى لها غنى وافرا.

وبالنظر إلى الموقع الرفيع للرجز والمكان الحساس لاستعماله تتعرّض هذه المقالة للزوايا الخفية لهذه الظاهرة الفنية حتى نحصل خلال هذه المقالة على الزوايا الخفية للرجز ونحصل على الظروف الحاكمة والسائدة على المجتمع آنذاك ونلتقط العبر عبر هذه الكلمات لأنفسنا.

ومن الأهداف المطلوبة فى هذه المقالة هو التعرف على الماهية الثقافية والبعد القيمى والفنى للأراجيز إذ إنّ الرجز عندنا هو إحدى القمم الرفيعة لظهور الثقافة والدين. ومن الأهداف التطبيقية لهذه المقالة هى: أن القارىء الكريم كذلک بواسطة قراءة هذه المقالة ومن خلال التعمق والتحليل فى معانيها يحصل على بصيرة جديرة بالذكر لمعرفة الجريانات الموجودة فى مجتمعه اليومى، ويستطيع أن يقوم بمقارنة الأفكار والعقائد الرائجة فى نفس المجتمع وبين العقائد والمعانى التى شبّت الحروب بسببها فى العصرين الجاهلى والإسلامى. فيقول صاحب كتاب (الشعر فى موقعة صفين) فى هذا الشأن أن: «الرجز مع النظر إلى هذا التغيير الأساسى والحياتى بدأ بالحركة إلى التأسلم. والرجز سجل فى هذه الفترة (العصر الإسلامى) تطورا موضوعيا وفنيا نحو الإسلامية، وأنه خطا الخطوة الأولى من صورته القديمة الجاهلية إلى صورة جديدة إسلامية، وهى خطوة لم تظهر بوضوح فى رجز الفتوح الأولى.» (عدنان محمد، ٢٠٠٥م : ٢٥)

الرجز

يعتبر الرجز إحدى البحور العروضية القديمة فى الشعر العربى الذى بنى على

(مستفعلن) وهذه التفعيلة تعاد عادة ست مرات أثناء بيت واحد:

دارٌ لسـلمى إذ سُـليمى جـارةٌ	قَفْـراً تُـرى آياتُهـا مِثـلَ الزُبَر
دار لسل | ما إذ سلى | مى جارتن	قفـرن ترى | آياتهـا | مثلز زبر
مستفعلن مسـتفعلن مستفعلن	مستفعلن مسـتفعلن مستفعلن

(قدری، ١۴٢١ ق/٢٠٠٠م: ١٠١)

قد شهد هذا البحر كباقی البحور الشعرية تغييرات عديدة حيث تأتی تفعيلة (مستفعلن) بعض الأحيان علی وزن (مفاعلن) أو (مفتعلن) أو (مفعولن) أو (فعلتن)، وكذلک نری بعض الأحيان أن عدد الأبيات يصل إلی أربعة. (المصدر نفسه: ۴۴)

سمی الرجز رجزا لمشابهة بين هذا البحر الشعری مع طريقة خاصة لنهوض الإبل من مكانه، لأن أصل الكلمة يدلّ علی الاضطراب والتحرک فی رجل البعير الخلفية، الذی يحدث حينما يريد البعير النهوض من مكانه. يقول ابن منظور فی (لسان العرب): «الرَّجَز: أن تَضطَرِبَ رِجْلُ البَعيرِ اَو فَخذاهُ إذا أرادَ القيامَ أو ثارَ ساعةً ثُم تَنبَسِطُ... . وإنَّما سُمِّیَ الرَّجَزُ رَجَزاً لأَنَّهُ تَتَوالی فِيهِ فِی أوَّلِهِ حَركةٌ وسُكونٌ ثُمَّ حَركَةٌ وسُكونٌ إلی أن تَنتَهِیَ أجزاؤُهُ يُشبِهُ بِالرَّجَزِ فی رِجْل الناقَةِ ورِعْدَتِها وهو أن تَتَحَرَّکَ وتَسكُنَ ثُمَّ تَتَحَرَّکَ وتَسكُنَ.. .» (ابن‌منظور، لاتا: ١٠۴/۶)

كان الرجز فی العصر الجاهلی مختصا إلی مواضيع معينة مثل التفاخر إلی الكرم والشجاعة وإلی الطائفة والقوم وقتل الأقوام بعضهم بعضا، والميل إلی الانتقام، وإلی توصيف ساحات القتال وذكر المراثی. وبعد الورود إلی العصر الإسلامی أضيفت مفاهيم أخری مثل ثناء الله، والإيمان إلی يوم القيامة والدفاع عن الإسلام والرسول الأكرم (ص). رغم أن هناک مشابهة بين الرجز الجاهلی والرجز الإسلامی فی الأسلوب لكن نری التحول والتغيير فی الموضوع والمفهوم.

ونحن نعرف أن الشجاعة أو الحماسة عنصر لايتقيد بالزمان ولايمكن تقييده إلی العصر الجاهلی أو الإسلامی، لكن الأمر المذموم والجاهلی هو العصبيية المنشأة من التعلقات القومية والطائفية كما أن النبی الأعظم (ص) أشار إلی هذا المضمون فی قوله:

«لَيسَ مِنّا مَن دَعا الِى عَصَبيهٍ، ولَيسَ مِنّا مَن قاتَلَ عَلى عَصَبيَّهٍ، ولَيسَ مِنّا مَن ماتَ عَلى عَصَبيهٍ.» (سليمان بن الأشعث، لاتا: ٣٣٢/٤)

كذلک روى عنه (ص): «ومَن قاتَلَ تَحتَ رايهٍ عَميَةٍ يَغضِبُ لِلعَصَبيةِ أو يَدعوا إلى عَصَبيهٍ أو يَنصُرُ عَصَبيهً فَقُتِلَ قَتلة جاهِلية.» (البيهقى، ١٩٩٤م: ١٥٦/٨)

ليس فى الإسلام سبب للتفاضل والتفاخر إلا بالتقى ولايوجد سيادة لقوم على قوم إلا وهو يتمتع من هذه الميزة الإلهية وهذا الأمر من أول ما علّمنا النبى(ص): «لا فَضلَ لِلعَرَبى عَلى العَجَمِي وَلا لِلاَحمَرِ عَلَى الاَسوَدِ اِلّا بالتَّقوى.» (المجلسى، ١٤٠٤ق: ٣٤٨/٢٢)

ومن أمثلة الأراجيز الإسلامية التى راجزه غير معلوم هو:

اَلحمـدُ لِلّهِ الّـذى   لَم يَخلُـقِ الخَلقَ عَبَث
لَـم يَخلِنا يَوماً سُـدىً   مِن بَعدِ عيسى وَاكتَرَث
اَرسـلَ فينـا اَحمـداً   خَيـرُ نَبـيٍ قَـد بَعَـث
صَلّـى عَلَيـهِ اللهُ مـا   حَجَّ لَـهُ رَكـبٌ وَحَث

يعنى كل الثناء لله الذى لم يخلق شيئا عبثا؛ ولم يتركنا سدى بعد نبيه عيسى(ع)؛ أرسل لنا رسول الله، الذى هو خير رسل الله على الأرض؛ صلوات الله عليه إلى يوم القيامة. (ابن كثير، ١٩٨٦م: ٢٣٦/٢)

إنّ تأثير الإسلام على معانى الرجز واضح فى المعارک التى وقعت فى صدر الإسلام، كما نرى أن التفاخر إلى الإسلام جاء بدل التفاخر إلى القوم والطائفة. و لم يكن الراجز بعد الإسلام يباهى بعشيرته وطائفته بل كان يباهى بإيمانه وإسلامه وكان يوعد المشركين إلى نار الجحيم. لكن نرى هناک تراجعا فى هذا التعالى بعد زمن النبى الأعظم (ص) وبعد تصدى الحكومة الأموية الحكم، نرى نفس المعانى السائدة على الأراجيز الجاهلية تأتى وتسود على سائر المضامين ونرى العصبية الطائفية التى ناهضها الإسلام وجعلها مقابل القيم الإسلامية مثل التقوى، كيف تموج فى أراجيز المعارک التالية مثل وقعة صفين.

هناک فی نفس الزمان أراجيز تنبع من أصل کريم فی وقعة کربلاء وتعلو هذه الأراجيز القيم الإسلامية فی أعلی درجاتها وباستطاعتنا أن نعدّ هذه الأراجيز مصداقا بارزا لأراجيز الصمود والمقاومة. فهذه الأراجيز خالية عن أی عصبية جاهلية، وکأنها کفيلة فقط عن طرح موضوعات مثل الدفاع عن الإسلام وعن أهل بيت رسول الله (ص).

نسعی فی هذا المقال أن ندرس أراجيز العصر الجاهلی والعصر الإسلامی، وسير تکامل هذا الأسلوب الشعری، وندرک مدی تأثير أراجيز عاشوراء علی أدب المقاومة بعد وقعة کربلاء. وللحصول علی هذا المطلوب نذکر بعض الأمثلة من الرجز الجاهلی ثم ندرس الأراجيز المنشدة فی معارک بدر، وأحد، وخندق وصفين التی فيها مشابهة مع أراجيز معرکة کربلاء؛ وتضاهی وقعة عاشورا من جهة أنه فی هذه الحروب کان عدد المسلمين قليلا وعدد الکفار والمشرکين کثيرا ووقعة کربلاء کان کذلک، وحرب صفين کذلک کان فيها تقابل بين بنی هاشم والأمويين وکذلک کانت وقعة کربلاء. فی النهاية للتبيين الأکثر نأتی بأراجيز الکوفيين حتی نوضح الفرق بين هذه الأراجيز وأراجيز أصحاب سيد الشهداء(ع) بصورة جيدة.

الف. أراجيز العصر الجاهلی

يعتقد بعض مؤرخی تاريخ الأدب العربی أن الرجز هو أول بحر شعری فی الأدب العربی الذی استخدمه شعراء الجاهلية وهو فی الواقع السجع المتکامل. يقول (بروکلمان) حول هذه القضية: «يَنبَغی أن يَکونَ أقدَمُ القَوالِبِ الفَنّيةِ العربيةِ هُو السَّجعُ، أی النَّثرُ المقَفّی اَلمجَرَّدُ مِنَ الوَزنِ... وتَرَقّی السَّجعُ اِلی بَحرِ الرَّجَزِ المتَاَلَّفِ مِن تِکرارِ سَبَبَينِ ووَتَدٍ لِيَسهُلَ عَلی السَّمعِ ويَبلُغَ أثَرُهُ فی النَّفسِ.» (بروکلمان، لاتا: ۵۱/۱)

وبما أن الرجز عند بعض العروضيين لايعدّ (شعرا)، لهذا السبب يقال للذی ينشد الأرجوزة (راجزا) لا (شاعرا). يقول صاحب لسان العرب: «وزَعَمَ الخَليلُ أنَّ الرَّجَزَ لَيسَ بِشِعْرٍ وإِنما هُو أنْصافُ أبياتٍ وأثْلاثٌ. . . والرَّجَزُ : بَحرٌ مِن بُحورِ الشِّعْرِ مَعروف ونَوعٌ

مِن أَنواعِهِ يَكونُ كُلُ مِصْراعٍ مِنهُ مُفرَداً وتُسمّى قَصائِدُه أراجيزَ واحِدَتُها أرْجُوزَةٌ وهِيَ كَهَيئَةِ السَّجْعِ إلّا أَنَّهُ فی وَزنِ الشِّعْرِ ويُسَمَّی قائلُهُ راجِزاً كَما يُسَمَّی قائلُ بُحورِ الشِّعْرِ شاعِراً.» (ابن‌منظور، لاتا: ۱۰۴/۶)

لم يكن هذا البحر الشعری شائعا عند شعراء الجاهلية. يقول الجاحظ فی (البيان والتبيين): «مِنَ الشُّعَراءِ مَن يَحكُمُ القَريضَ وَلايُحسِنُ مِنَ الرَّجَزِ شَيئاً فَفی الجاهِليَةِ مِنهُم زَهير والنابِغَة والأَعشی وأما مَن يَجمَعُهُمَا فَامرُؤُالقَيس ولَهُ شَیءٌ مِنَ الرَّجَزِ وطَرفَةٌ ولَهُ كَمِثلِ ذلکَ ولَبيدٌ.» (الجاحظ، ۱۹۶۸م: ۵۹۹/۱)

ونری المعانی فی هذا العصر نفس المعانی السائدة فی العصر الجاهلی فی سائر البحور الشعرية يعنی الفخر والحماسة والهجو. ومن أمثلة ذلک:

هذا رجز امرئ القيس عندما يسمع أن بنی أسد قتل أباه:

تَــاللهِ لا يَذهَبُ شَــيخِی بَاطِلا		حَتّــی أبيـــرَ مالِـــكاً وَكاهِلا
القاتِليـــنَ المَـلِـکَ الحُلاحِلا		خَيـــرَ مَعَــدٍّ حَسَــباً وَنائِلا
يــا لَهفَ هِنــدٍ إذ خَطِئنَ كاهِلا		نَحــنُ جَلَبنا القُــرَّحَ القَوافِلا

و...

(امرؤالقيس، لاتا: ۱۳۴)

ويهجو لبيد بن ربيعه فی رجز ضمرة بن جابر الذی كان من أشراف بنو نشهل عندما كان أسيرا فی يد طائفة بنی كلاب، بألفاظ قبيحة ويقول:

يا ضَمرَ يا عَبــدَ بَنی كِلابِ		يا وَرلاً أُلقِــیَ فــی سَــرابِ
أَكانَ هَـــذا أَوَّلَ الثَـــوابِ		لا يَعلَقَنــكُــم ظُفُـری وَنابی
إنّی إذا عاقَبـــتُ ذوعِقابِ		بِـصــارِمٍ مُـذَكَّـرِ الـذُبابِ

(لبيد بن ربيعة، ۱۹۹۳م: ۵۸)

أی: يا ضمر الذی أنت عبد بنی كلاب، يا وَرلاً رميت فی المياه النتنة، هل هذا أول حسنک؟ أنت دنی إلی مرتبة لا تجدر أن أشير بيدی إليک وأتكلم حولک، أنا الآن بواسطة سيفی الصارم أجازيک كما أجازی الذباب.

وینشد فی رثاء أخیه:

اِنـعَ الكَريـمَ لِلكَريـم أَربَـدا ... انـعَ الرَئيـسَ وَاللَطيـفَ كَبِدا
يُحذى وَيُعطـى مالَـهُ لِيُحمَدا ... أُدمـاً يُشَـبَّهنَ صُـواراً أَبَّـدا
السـابِلُ الفَضـلِ إِذا مـا عُدِّدا ... وَيَمـلَأُ الجَفنَـةَ مَـلأً مَـدَدا

(المصدر نفسه: ٦۳)

أی: قل حول أربد الكريم إلى الكرماء، وتكلم حول السيد أربد، الشخص الحنون، الذی يبذل أمواله للذكر الحسن، المصلح الذی دوما يشبه الكرماء، الذی بذله دائمی ولايعد، ويملأ عيون الآخرين.

والنابغة الذبيانی يمدح نفسه بهذه الصورة:

نَفسُ عِصامٍ سَـوَّدَت عِصاما ... وَعَلَّمَتـهُ الكَـرَّ وَالإِقدامـا
وَصَيَّرَتـهُ مَلِـكاً هُمامـا ... حَتّـى عَلا وَجـاوَزَ الأَقواما

(النابغة الذبيانی، ۱۹۹۱م: ۱۵۸)

أی: هذا روح عصام الذی جعله أسود الوجه، وعلمه الهجوم فی الحرب وكيفية المناضلة، وجعل منه ملكا كبير الشأن، إلى مدى يعلو كل يوم ويسود على سائر الأقوام.

وكما أشرنا آنفا غيرت مفاهيم الرجز بواسطة الإسلام تغييرا عظيما. تقول رجاء الجوهری فی هذا الشأن: «وهكَذا تَمَخَّضَ رَجَزُ الحَماسَة الجاهِليَة عَن رَجَزِ الجهادِ فی صَدرِ الاِسلامِ مَعَ اختِلافٍ فِی دَوَاعِی استِعمالِه، فَالأَوَّلُ كانَ يَقُومُ عَلی إثارَه النَعَراتِ الجاهِليَة وَالدَعوَة إلی الأخذِ بِالثَّأرِ وَالاِنتِقام، أَمَّا الثّانِی فَقَد دَعاهُم إلَيهِ داعِی الإسلامِ وَحَبّ نُصرَتَه وَالرَغبَة وَالاِستِشهادَ فِی سَبيلِ اللهِ ونُصرة هذا الدّينِ الحَقِّ.» (الجوهری، لاتا: ٤۲)

ب. أراجيز بدر وأحد وخندق

بعد فحص كثير فی الكتب التاريخية مثل: الكامل، والمغازی، وتاريخ اليعقوبی،

وتاريخ الطبرى، وتاريخ الإسلام، وكتاب البداية والنهاية، وجدنا أن هناك عددا قليلا من الأراجيز التى لايمكن قياسها بالحجم الكبير من أراجيز عاشورا. ونحن نذكر قدر الحاجة بعض هذه الأراجيز.

١. الأراجيز التى أنشدت فى غزوة بدر (البدر العظمى) فى السنة الثانية من الهجرة:

رجز عمير بن حداد فى أثناء الحرب:

رَكضــاً إلَــى اللهِ بغَيــرِ زادٍ   الا التُقــى وَعَمَــلِ المعــادِ
والصَّبرُ فِــى اللهِ عَلَى الجِهادِ   وكُلُّ زادٍ عُرضَــه النَّفــادِ
غيــرَ التُّقى والبِرِّ والرَّشــادِ

(ابن كثير، ١٩٨٦م: ٢٧٧/٣)

والرجز الآخر لمجذر بن زياد بعد قتله أبا البخترى بعد أن نهى رسول الله (ص) المسلمين عن قتله:

امّــا جَهلت اَو نَســيت نَسَــبِى   فأثبِــتَ النِّســبَةُ اِنّــى من بَلى
اَلطّاعِنيــنَ بِرِمــاحِ اليَزَنِــى   وَالطّاعِنينَ الكَبشِ حَتّى يَنحَنِى
بَشِّــر بِيُتــم مَن اَبُــوهُ البُختَرى   اَو بَشِّــرنَ بِمِثلِها مِنّــى بَنِــى
اَنا الّذى يُقــالُ اَصلِى مِن بَلى   اَطعِــنَ بالصَّعــدَه حَتّــى تَنثَنِى
واَعبَطُ القَرنَ بِعُصبِ مَشــرَفى   اَرزَمَ لِلمَــوتِ كَارزامِ المَرى

(ابن كثير، ١٩٨٦م: ٢٨٥/٣)

أى: إن لم تعلم أو نسيت نسبى، إن نسبى بنفسه سوف يقول لك: أنى من قوم بلى، ذلك القوم الذى يقتل أعداءه برماح يزنى، وذلك القوم الذى يسقط على الأرض الكبش الكبير، قولوا لابن البخترى أنه عن قريب يصبح يتيما، أو قولوا هذا الخبر لأولادى ولا أخاف، أنا الذى أقول أصلى من قوم بلى، وأقتل صعدة بضربات رمحى، وأكسر القرون بحد سيفى، أنى أصيح على الموت كإنسان حائر. وليس له مفر إلا أن يسلم نفسه إلى الموت.

ومن الواضح أنه لايرى أثر من المفاهيم الإسلامية فى هذا الرجز، إلا أن الراجز

کان شخصا مسلما.

عندما کانوا یأتون بأسری بدر إلی المدینة رجز راجز باسم عدی بن أبو زغباء:

أقِــم لَهــا صُدُورَها یا بَســبَس   لیسَ بِــذِی الطَّلح لَهــا مُعَرَّس
وَلا بِصَحــراءَ عَمــرؤ مُحبَــس   إنَّ مَطایــا القَــومِ لا تُحَبّــس
فَحَمَلَهــا عَلَی الطَّریــقِ اَکیَس   قَــد نَصَــرَ اللهُ وفَــرَ الأخنَــس

(ابن کثیر، ۱۹۸۶م: ۳۰۵/۳؛ الواقدی، ۱۹۸۹م: ۴۵/۱)

أی: أیها البراری الواسعة، هیأ له قلبک، لأنه علی أولیاء طلح أن یعلموا أنه لایری عروسا لنفسه، وما رأی إلی الآن أحد ملکا محبوسا فی الصحراء، اعلموا أنه لا یمکن حبس قیم قوم، لکن تضییعه نوع من الفطانة، إن الله سوف ینصرنا.

ولانری فی هذا الرجز شیئا من الإسلامیة إلا لفظة واحدة من المظاهر الإسلامیة وهی لفظة «الله» الشریفة.

۲. الأراجیز المنشدة فی غزوة أحد فی شهر شوال فی السنة الثالثة للهجرة:

یعطی الرسول الأعظم (ص) سیفا إلی أبی دجانة الأنصاری، وبعد قتال شدید ینشد:

اَنــا الَّــذی عاهَدَنــی خَلیلِــی   وَنَحــنُ بِالسَّــفحِ لَــدَی النَّخیلِ
اَن لا اَقــومَ الدَّهرَ فــی الکُیُولِ   اَضــرِبُ بِسِــیفِ اللهِ وَالرَّسُــولِ

(ابن کثیر، ۱۹۸۶م: ۱۶/۴؛ الطبری، ۱۹۶۷م: ۵۳۳/۲)

أی: أنا الذی عاهدنی الرب، ونحن معروفون بالکرم، إننی لست کباقی الناس البخلاء الذین یتفکرون فی الکیل والمکیال، وإننی أقاتل بسیف الله ونبیه.

عندما یقتل حمزة بن عبد المطلب أحد مقاتلی المشرکین باسم عثمان بن أبی طلحة یرتجز ویقول:

إِنَّ عَلــی أهلِ اللِــواءِ حَقّاً   أن یَخضَبُوا الصَّعدهَ أو تَنَدَّقاً

(ابن کثیر، ۱۹۸۶م: ۱۷/۴؛ الواقدی، ۱۹۸۹م: ۲۲۶/۱)

أی: إن لنا حقا علی أهل اللواء، إلی أن أقتل قبیلة صعدة وتندق.

وترتجز هند علی صخرة بعد أن جعل المسلمون جبل أحد ملجئا لأنفسهم:

نَحــنُ جَزَينــا كــم بِيَــومِ بَــدرٍ وَالحَربُ بَعدَ الحَربِ ذاتَ سِــعرٍ
مــا كان لِــى عَن عَتبَــهٍ مِن صَبرٍ وَلا اَخِــى وَعَمِّــه وَبَكــرٍ
شَــفيتُ نَفســى وَقَضَيــتُ نذرى شَــفَيتُ وَحشِــىّ غَليلَ صَدرِى
فَشُــكرُ وَحشــىٍ عَلــى عُمرِى حَتّــى تَــرُمَّ اَعظُمِى فِــى قَبرِى

(ابن كثير، ۱۹۸۶م: ۳۷/۴)

أى: نحن أعطينا جزاءكم يوم بدر، والحرب بعد الحرب ذات قيمة، ولاأستطيع التحمل بعد عتبة، ولاأستطيع التحمل كذلک بعد أخى وعمى ولا بعد بكر، إنى جعلت نفسى هادئا حتى أؤدّى نذرى، وأننى أشفى غليل صدرى، والشكر لهذا الغليان إلى نهاية عمرى، عندما تنخر عظامى فى قبرى.

ثم أجابتها هند بن أثاث بن عباد بن مطلب هكذا:

خَزَيــتُ فِــى بَــدرٍ وَبَعــدَ بَدرٍ يــا بِنــتَ وَقّــاعِ عَظيــمَ الكُفرِ
صَبَّحَــکِ اللهُ غَــداةَ الفَجــرِ وَلا اَخِــى وَعَمِّــهِ وَبَكــرٍ
شَــفَيتُ نَفســى وَقَضَيتُ نَذرى مِــنَ الهاشِــميينَ الطِّــوالَ الزَّهرِ
بِــكُلِّ قَطّــاعَ حِســامٍ يَفــرِى حَمــزَةَ لَيثِــى وَعَلــىّ صَقــرِى
اِذ رامَ شَــيبٌ وابُــوکَ غَــدرِى فَخَضَّبــا مِنــهُ ضَواحِــى النَّحرِ
وَنَــذرُکَ السُّــوءُ فَشَــرُّ نَــذرٍ

(ابن كثير، ۱۹۸۶م: ۳۸/۴)

أى: يا هند ذللت فى حرب بدر وبعدها، يا بنت كبير الكفار، والله يجعلک حيا عند الصباح، وأننى لاأفكر بأخى ولا عمى ولا بكر، أنى شفيت نفسى وأديت نذرى، حول العترة الهاشمية التى لها وجوه مشرقة، وأقسم بكل سيف قاطع للعروق، أن حمزة أسدى وعلى صقرى، عندما تكون عند فتى عربى الفتوة فى حين أبوک يخادعنى، إذن علينا أن نصبغ وبر الآبال بدمه، وهذا نذرک وشر النذور.

هذا الرجز كذلک يفتقد للمعانى الإسلامية وفقط تجيب على هجو المرتجزة. وكليا أن الأراجيز البدرية كذلک لايمكن توصيفها بوصف الإسلامية.

۳. الأراجيز المنشدة فی غزوة خندق فی السنة الخامسة للهجرة:

يری الرسول الأعظم (ص) المهاجرين والأنصار فی حال الجوع والتعب فی صباح بارد وهم مشغولون بحفر الخندق. ثم يدعوهم هكذا: «اللَّهُمَّ إِنَّ العَيشَ عَيشُ الآخِرَة، فاغفِر الأَنصارَ والمهاجِرَةَ.» ثم يجيبه المسلمون:

نَحنُ الَّذيــنَ بَايَعُوا مُحَمَّدا   عَلَــى الجِهادِ مــا بَقِينا اَبَداً

(ابن كثير، ۱۹۸۶م: ۹۵/۴؛ الواقدی، ۱۹۸۹م: ۴۵۳/۲؛ الذهبی، ۱۹۹۳م: ۲۹۸/۲)

وروی أيضا أن النبی (ص) كان يقرأ رجز عبدالله بن رواحه حين حفره الخندق:

وَاللهِ لَــولا اللهُ مــا اهتَدَينا   وَلا تَصَدَّقنــا وَلا صَلَّينــا

فَاَنزِلَــنَ سَــكينَهَ عَلَينــا   وَثَبِّــتَ الاَقــدامَ اِن لاقَينا

اِنَّ الاُلــی قَــد بَغَــوا عَلَينا   اِذا اَرادُوا فِتنَــة اَبينــا

(ابن كثير، ۱۹۸۶م: ۹۶/۴؛ الواقدی، ۱۹۸۹م: ۴۴۹/۲؛ الذهبی، ۱۹۹۳م: ۲۹۸/۲)

أی: أقسم بالله لو لم يكن الله يهدينا، لم يكن يؤيدنا ويصلی علينا ولم يكن يرسل علينا الهدوء ولم يكن يثبت أقدامنا، لكانوا يبغون علينا عند بغيهم علی آبائنا.

وكذلک نقل أنه (ص) كان يقرأ هكذا:

بِســمِ اللهِ وَبِــه هَدَينــا   وَلَوعَبَدنــا غَيرَهُ شَــقَينا

يا حَبَّذا رَبّاً وحَبَّ ديناً

(ابن كثير، ۱۹۸۶م: ۹۷/۴)

خرج نوفل بن عبدالله المخزومی من جيش المشركين إلی القتال وطلب المبارز، عندئذ خرج زيبر بن عوام من جيش المشركين لقتاله وقتله بضربة سيفه بحيث انكسر سيفه. ثم رجع قارئا:

إِنّی امــرُؤٌ أَحمی وأَحتَمی   عَنِ النَّبی المُصطَفی الأُمّی

(ابن كثير، ۱۹۸۶م: ۱۰۷/۴)

بعد أن طلب عمرو بن عبدودّ المبارز فی دفعات قال: «أَلا رَجُلٌ يَبرُزُ؟ فَجَعَلَ يُؤَنِّبُهُم ويَقُولُ: أَينَ جَنَّتُكُمُ الَّتی تَزعُمُونَ أَنَّهُ مَن قُتِلَ مِنكُم دَخَلَها أَفَلا تُبرِزُونَ إِلَیَّ رَجُلاً؟»

فهكذا يقول:

وَلَقَــد بُححــتُ مِــنَ النِّداءِ ... لِجَمعِهِــم هَــل مِــن مُبارِزِ
وَوَقَفــتُ إذ جَبُنَ المشَــجَّعُ ... مَوقِــفُ القَــرنِ المناجِــزِ
وَلِــذاکَ انّــی لَــم أَزَل ... مُتَسَــرِّعاً قَبــلَ الهُزاهِــزِ
أَنَّ الشُّــجاعَةَ فِــی الفَتــی ... والجُودُ مِــن خَيــرِ الغَرائِزِ

(ابن کثیر، ۱۹۸۶م: ۱۰۶/۴؛ الواقدی، ۱۹۸۹م: ۴۷۰/۲)

أی: لکثرة صراخی تألمت حنجرتی، ولأنی طلبت المبارز مرات، وأنا قائم کالقرن عندما یشتد الحرب، عندما أری المحرضین إلی القتال خائفین، لهذا السبب أنا ما زلت مشتاقا إلی الحرب والقتال قبل أن یأتی وقت الهزیمة، والشجاعة فی الواقع من علامات الفتی، وکذلک الجود هو من أهم الغرائز.

ثم استجاز علی (ع) النبی (ص) بإصرار کثیر:

لا تَعجَلَــن فَقَــد أَتــاکَ ... مُجیبُ صَوتِکَ غَیرَ عاجِزِ
فــی نِيَّــه وَبَصیــرَه ... وَالصِّدقُ مَنجــی کُلُّ فائِزِ
اِنِّــی لَأَرجُــو أَن أُقیــمَ ... عَلیــکَ نائِحَــهُ الجَنائِــزِ
مِــن ضَربَــةٍ نَجــلاءِ ... یَبقی ذِکرُها عِنــدَ الهُزاهِزِ

(ابن کثیر، ۱۹۸۶م: ۱۰۶/۴)

تنقل عائشة أن سعد بن معاذ کان یرتجز هکذا:

لَبِّث قَلیلاً یَشهَدُ الهَیجا جَمَل ... لا بَأسَ بِالمَوتِ اِذا حانَ الاَجَل

(ابن کثیر، ۱۹۸۶م: ۱۰۸/۴؛ الواقدی، ۱۹۸۹م: ۴۶۹/۲؛ الذهبی، ۱۹۹۳م: ۲۹۱/۲)

ج. أراجیز صفین:

إن الأراجیز التی أنشدت فی وقعة صفین کثیرة جدا ونحن نکتفی بذکر جزء منها یتضمن مضامین متفاوتة رغم أن بعضها کذلک أنشدت فی جواب رجز آخر من العدو مثل ما ارتجز به عمرو بن عاص فی الیوم الأول من الحرب:

لا تَأمَنّا بَعدَها أَبا حَسَنِ　　إنّا نَمُرُّ الحَربَ إمرارَ الرَّسَنِ
لَتُصبِحُنَّ مِثلَها أمُّ لَبَنِ　　طاحِنَةٌ تَدُقُّكُم دَقَّ الحَفَنِ

وأجابه شاعر من العراق:

أَلا أُحذُروا فِی حَربِکُم أَبا الحَسَنِ　　لَيثاً أَبا شِبلَينِ مَحذُوراً فَطِنِ
يَدُقُّكُم دَقَّ المَهاريسَ الطَّحَنِ　　لَتَغبِنُنَّ يا جاهِلاً أَیَّ غَبنِ
حَتّی تَعُضُّ الكَفَّ أَو تَقرَعُ السِّنَّ　　ندامَةَ أَن فاتَكُم عَدلُ السُّنَنِ

(المنقری، ۱۳۸۲ش: ۲۴۲)

أی: أنا أحذركم فی أن لاتقاتلوا أب أسدين الذی هو فطن. الذی يطحنكم كما يطحن القمح فی المطحن. لولا تعلمون هذا فاعلموا أنكم غدرتم. بحيث سوف تعضون أيديكم لفقدكم السنن العادلة.

وقد نری بين هذه الأراجيز الهجو، كما نری أن مجزاة بن ثور – بعد أن تهجم قبيلة ربيعة علی عسكر الشاميين وينهزم العسكر– يرتجز:

أَضرِبُهُم وَلا أَری مُعاوِيَة　　الأَبرَجَ العينِ العظيم الحاوِيَة
هَوَت بِه فِی النّارِ أُمُّ هاوِيَة　　جاوَرَهُ فيها كِلابٌ عاوِيَة

(المصدر نفسه: ۳۰۵)

يعنی: أنا أقاتلهم لكنی لا أری بينهم معاوية القبيح، الذی سوف يسقط فی الجحيم، ويجاور الكلاب الوحشية.

والنقطة البارزة فی هذا الحرب أنه فی الأراجيز الموجودة من هذه الوقعة تسود العلاقات القبائلية علی باقی المعانی. علی سبيل المثال نلتفت إلی هذه الأرجوزة:

قَد ضارَبَت فی حَربِها هَوازِنٌ　　اَولاكَ قَومٌ لَهُم مَحاسِنٌ

(المصدر نفسه: ۳۱۲)

يعنی: هو قتله بضربته أحدا من قبيلة هوازن، القبيلة التی كانت مشهورة بالسيرة الحسنة.

قَد حافَظَت فِی حَربِها بَنُو أَسَد　　ما مِثلِها تَحتَ العِجاجِ مِن أَحَدِ
أَقرَبُ مِن يَمَن وَأَنأَی مِن نَكَدِ　　كَأَنَّنا رَكنا ثَبيرَ أَو أُحُدِ

لَســنا بأَوباش وَلا بيضَ البَلدِ   لكنَّنــا المحَّــة مــن وُلــدِ مَعَدِ
كنتَ تَرانا فِى العِجاجِ كَالأَسَدِ   يا لَيتَ رُوحِى قَد نَأى عَنِ الجَسَدِ

(المصدر نفسه: ٣١١)

يعنى: أن بنى أسد دافعت فى الحرب عن نفسها، لكن لاتجد مثلهم تحت غبار الحرب، إنهم أقرب إلى اليمن وأبعد عن الشقاوة، كأننا قائمون مثل جبل ثبير وأحد، نحن لسنا كالأوباش نمن الناس – يعنى مثل أعدائنا–، بل نحن النخبة من أبناء معد، وكنت ترينا فى شدائد الحرب مثل الأسود ، يا ليت روحى يخرج من الجسم وأموت فى الحرب.

ومما يجدر الإشارة إليه هو أنّ العصبية القبلية قليلة فى الأراجيز الموجودة فى وقعة كربلاء، وأنّ الراجز لايغفل عن ذكر الله حينما يثير العصبية القومية:

قَد صابَرتُ فِى حَربِها كَنانَه   وَاللهُ يُجزيهــا بِهــا جَنانَــه

(المصدر نفسه: ٣١٠)

قَد سارَعَت فِى نَصرِها رَبيعَه   فِى الحَقِّ وَالحَقِّ لَهُم شَريعَه

(المصدر نفسه: ٢٩٩)

يذكر الدكتور عدنان محمد أحمد فى مقالة بعنوان الشعر فى موقعة صفين: «ويُمكِنُ أن نُلاحِظَ فِى هذه الأَرجازِ أَنَّ قائليها، برغم اهتِمامِهم بتَحريضِ المقاتِلينَ مِن خِلالِ إِثارِه الحَميّةِ القَبليةِ لدَيهِم، لَم يَغفُلوا أَهمّيَّةَ الاستِفادةِ مِنَ النَّزعَةِ الدّينيةِ، وكانَ طَبيعيّاً أَن تَختَلِطَ فِى الأَذهانِ الحَميّةِ الجاهِليةِ القَبليةِ وَالنَّزعَةِ الدّينيّةِ، وَقَد تَلاقَتا، أَو تَوافَتا، فى بَؤُرَةٍ تَجَمَّعَت فيها شَتّى المؤَثِّرات مِمّا خالَجَ ضَمائرَ النّاسِ فِى هذا الجانِبِ أَو ذاكَ.» (عدنان محمد، ٢٠٠٥م: ٣٢١)

والشىء الآخر الذى نراه فى هذه الأراجيز هو، الحماية عن على (ع) والدفاع عن الحق. خاصة فى أراجيز عمار ياسر:

كَلّا ورَبَّ البَيتِ لا أَبرحُ أَجى   حَتّى أَموتَ أَو أَرى ما أَشتَهى
أَنا مَــع الحقِ أُحامى عَن علىٍ   صِهر النَّبى ذِى الأَماناتِ الوَفى

نَقتُــلُ أَعــداءَهُ ویَنصُرُنا العَلی ونَقطَعُ الهــامَّ بِحَدِّ المشــرفی
واللهُ یَنصُرُنــا عَلــی مَن یَبتَغی ظُلمــاً عَلَینا جاهِــداً ما یَأتَلی

(المصدر نفسه: ٣٤٣)

نَحــنُ ضَرَبناکُم علــی تَنزیلِهِ فَالیــومَ نَضرِبُکُم عَلــی تَأویلِهِ
ضَرباً یُزیــلُ الهامَّ عَــن مَقیلِه ویُذهَــلُ الخَلیــلُ عَــن خَلیلِه

(المصدر نفسه:٣٤١)

أو أراجیز جندب بن زهیر:

هــذا عَلــیٌّ وَالهُــدی حَقّــاً مَعَه یــا رَبِّ فَاحفَظْــهُ ولا تَضیعَــه
فَإِنَّــهُ یَخشــاکَ رَبّــی فَارفَعَــه نَحــنُ نَصَرنــاهُ عَلی مَــن نازَعَه
صِهرُ النَّبِــیّ المصطَفی قَد طاوَعَه أَولُ مَــن بایَعَــهُ وتابَعَــهُ

(المصدر نفسه: ٣٩٨)

لکن علینا أن لانغفل عن أنه هناک عدد مشهود من الأراجیز التی فیها الصبغة الجاهلیة، مثلا عندما یهجم جیش عراق علی جیش الشام یرتجز أحدهم قائلا:

ســائل حَبیبَــةَ مَعبَدٍ عَــن بَعلِها وحَلیلَــةَ اللَّخمِــی وابــنَ کِلاعِ
وَاســأَل عَــدُو اللهِ عَــن أَرماحِنا لَمّــا ثَــوَی مُتَجِــدِّلاً بِالقــاعِ
وَاســأَل مُعاوِیَــةَ المُوَلّــی هارِباً والخَیلَ تَعــدُو وهِیَ جَدّ سُــراعِ
مــا ذا یُخَبِّــرُکَ المخَبِّــرُ صادِقاً عَنّــا وعَنهُــم عِنــدَ کُلِّ دِفــاعِ
إن یُصَدِّقُــوکَ یُخَبِّــرُوکَ بِأَنَّنــا أَهــلُ النَّدی مُستَســمِعُوا لِلدّاعِی
نَدعُوا إِلَی التَّقــوی وَنَرعی أَهلَها بِرِعایَــةِ المَأمُــونِ لا المضیــاعِ
وَنَسُــنُّ لِلأَعــداءِ کُلَّ مُثَقَّــفٍ لَــدُن وکُلَّ مُهَنَّــدٍ قَطّــاعِ

(ابن أعثم، ١٩٩١م: ١٢٣/٣؛ المنقری، ١٣٨٢ش: ٣٨٠)

أی: إسأل حبیبة المعبد عن بعلها، واسأل حول المرأة اللخمیة التی هی من بنات کلاب، واسأل أعداء الله حول أرماحنا، عندما مهیئة للقتال، واسأل معاویة الخائف الذی هرب عن ساحة القتال، الذی یرکض والجیش خلفه، ماذا قال ذلک المنبیء

الصادق حولنا وحولهم، لو يكن صادقا لقد قال لک أننا أهل القتال ونستمع للداعی إلی الحرب، نحن ندعو إلی التقوی ونراعی أهله، رعاية مطمئنة، وندخل أرماحنا فی أجساد أعدائنا.

د. دراسة مفهومية فی أراجيز عاشوراء

إنّ الأراجيز التی أنشدها أصحاب الإمام الحسين(ع) فی يوم عاشورا كانت تتضمن معان مختلفة، منها:

۱. الأراجيز حول التعرف علی الإمام الحسين (ع)

إنّ الإشارة إلی مقام سيد الشهداء ومكانته (ع) وذكر قرابته النسبية إلی النبی الأعظم (ص) كان أحد الموضوعات المهمة التی تناوله أصحاب الإمام (ع) فی أراجيزهم الحماسية. وتكمن أهمية هذه الأراجيز فی أنها تُعدّ تذكارا وتنبيها لإيقاظ جيش عمر بن سعد الذين كأنهم قد نسوا فی وجه من يقاتلون، وكأنهم لم يكونوا يعلمون أنهم يريدون قتل أی شخصية، النقطة التی يشير إليها سيد الشهداء (ع) بنفسه فی بيانه هذا:

«فَانسِبوُنِی فَانظُرُوا مَن أنا، ثُمَّ ارجِعُوا إلی أنفُسِكُم وعاتِبُوها، فَانظُرُوا، هَل يَحِلُّ لَكُم قَتلِی وانتِهاکُ حُرمَتِی؟ أَلَستُ ابنَ بِنتِ نَبِيِّكُم (ص) وابنَ وَصِيِّه وابن عَمِّه، وأوَّل المُؤمِنِينَ بِاللهِ والمصَدِّقَ لِرَسُولِه بِما جاءَ بِه مِن عِندِ رَبِّه! أو لَيسَ حَمزَةُ سَيِّدُ الشُّهَداءِ عَمَّ أَبِی! أولَيسَ جَعفَرٌ الشَّهيدُ الطَّيّارُ ذُوالجَناحَينِ عَمِّی! أو لَم يَبلُغكُم قَولٌ مُستَفيضٌ فيكُم إنَّ رَسُولَ اللهِ (ص) قالَ لِی ولِأَخِی: هذانِ سَيّدا شَبابِ أَهلِ الجَنّهِ!» (الطبری، ۱۹۶۷م: ۴۲۵/۵)

ومن أمتن هذه الأراجيز هو رجز حجاج بن مسروق، مؤذن الإمام الحسين(ع):

أَقــدَمُ حُسَــيناً هادِيــاً مَهدِياً ... اليَــومَ نَلقــی جَــدَّکَ النَّبِيّــا
ثُــمَّ أَبــاک ذَا النَّــدی عَليّــاً ... ذاکَ الَّــذِی نَعرِفُــهُ وَصيّــاً

(ابن شهر آشوب، ۱۳۷۹ش: ۱۰۳/۴؛ المجلسی، ۱۴۰۴ق: ۲۵/۴۵؛ ابن أعثم، ۱۹۹۱م: ۱۰۹/۵)

والمثال الآخر هو رجز سعيد بن عبد الله حنفی الذی يقول فی أرجوزته:

أَقدَم حُسَـــین الیَومَ تَلقَی أَحمدا   وَشَـیخَکَ الحِبرَ عَلیّــاً ذَا النَّدا
وَحَسَــناً کَالبَدرِ وافِی الأسـعَدا   وَعَمَّــکَ القَومِ الهُمامِ الأَرشَــدا
حَمــزَةَ لَیـــثَ اللهِ یـدُعـــی   و ذا الجَنـاحَینِ تَبــوَأُ مَــقعَدا

(المجلسی، ۱۴۰۴ق: ۲۶/۴۵؛ ابن شهر آشوب، ۱۳۷۹ش: ۱۰۳/۴؛ ابن أعثم، ۱۹۹۱م: ۱۰۹/۵)

والأمر الذی هو جدیر بالذکر أننا نری أن الراجزین فی هذه الأرجوزات خرجوا من الموضوعات المتعارفة فی الرجز مثل شجاعة الراجز أو قبیلته أو هجو العدو و... و یذکرون فقط عظمة عترة النبی(ص) وأهل بیته (ع).

۲. الدفاع عن أهل البیت(ع)

من أحسن الأراجیز المنشدة فی هذا الموضوع نستطیع أن نذکر رجز (جون) مولی أبی ذر الغفاری:

کَیفَ یَری الکُفّارُ ضَربَ الأُسوُدِ   بالسَّــیفِ ضَرباً عَن بَنی مُحَمَّدِ
أَذُبُّ عَنهُــم بِاللِّســانِ والیَــدِ   أَرجُــو بِــهِ الجَنَّةَ یَــومَ الموردِ

(المجلسی،۱۴۰۴ق: ۲۲/۴۵؛ ابن شهر آشوب، ۱۳۷۹ش: ۱۰۳/۴؛ البلاذری، ۱۹۹۶م: ۱۹۶/۳؛ ابن أعثم، ۱۹۹۱م: ۱۰۸/۵)

قد یری هذا الموضوع فی أراجیز الکثیر من أصحاب الإمام (ع) لکن هنا یشکّل المفهوم الأصلی للرجز. بعبارة أخری، کان قصد جمیع أنصار أبی عبدالله (ع) الدفاع عنه وهذا أمر لایشک فیه أحد. یعتبر رجز حرّ بن یزید ریاحی نموذجا لهذا المعنی:

إنِّی أَنا الحُــرُّ وَمأوَی الضَّیفِ   أَضرِبُ فِی أَعناقِکُم بِالسَّیفِ
عَن خَیرِ مَن حَلَّ بِأَرضِ الخَیفِ   أَضرِبُکُــم وَلا أَری مِن حَیفِ

(المجلسی، ۱۴۰۴ق: ۳۱۹/۴۴ و۱۴/۴۵؛ الشیخ الصدوق، ۱۴۰۴ق: ۱۵۹؛ الفتال، لاتا: ۱۸۶/۱؛ ابن شهرآشوب، ۱۳۷۹ش: ۱۰۰/۴؛ البلاذری، ۱۹۹۶م: ۱۵۹/۳؛ ابن أعثم، ۱۹۹۱م: ۱۰۱/۵)

۳. مذمة الأعداء

إنّ الموضوع الآخر الذى ارتجز حوله أصحاب سيد الشهداء (ع) هو مذمة الأعداء وانتسابهم إلى الكفر والفسق. كما يرتجز محمد بن عبدالله بن جعفر بن أبى‌طالب (ع) عندما يريد الذهاب إلى المعركة:

نَشــكُوا إلَــى اللهِ مِــن العُدوانِ قِتالَ قَــومٍ فِى الــرَّدى عَميانِ
قَد تَرَكُــوا مَــعالِمَ القــُرآنِ ومُحكَمَ التــَّرتيلِ والــتِّبيانِ

(ابن شهر آشوب، ۱۳۷۹ش: ۱۰۶/۴؛ ابن أعثم، ۱۹۹۱م: ۱۱۱/۵)

كذلک نستطيع أن نشير إلى رجز عمر بن على بن أبى‌طالب(ع) فى هذا الموضوع الذى يرتجز بعد أن يستشهد أخوه أبوبكر بن على(ع) على يد زحر بن بدر نخعى:

أضرِبُكُــم وَلا أَرى فيكُم زَحَر ذاکَ الشَّــقىَّ بِالنَّبِــىِّ قَــد كَفَر
يا زَحَر يا زَحَر تُدانُ مِن عُمَر لَعَلَّــکَ اليَــومَ تَبُوأُ مِن سَــقَر
شَــرَّ مَكانٍ فِى حَريقٍ وسَــعَر لأَنَّکَ الجاحِدَ يا شَــرَّ البَشَــر

(المجلسى، ۱۴۰۴ق: ۳۷/۴۵؛ ابن أعثم، ۱۹۹۱م: ۱۱۳/۵)

۴. طلب المبارز

لانرى تفاوتا جازما فى هذا الشأن بين أراجيز عاشوراء وأراجيز العصر الجاهلى إلا أنه لابد لنا أن نعترف بأن النية فى أراجيز عاشورا لاينحصر فى بيان شجاعة الشخص فحسب بل إن الراجز فى كربلاء يريد أن يدافع عن عقائده وعن إمامه، إذن هناک بون شاسع بين داعى الراجز فى كربلاء فى ارتجازه بأراجيز محتوية على شجاعته وبين الراجز فى العصر الجاهلى الذى كان يريد من ذكر شجاعته إلقاء الرعب فى قلب عدوه والتفاخر بنفسه فحسب.

إذن علينا أن نعرف أن غالب الأراجيز فى العصر الجاهلى أنشدت فى حال التساوى فى احتمال غلبة كل فريق على الآخر، والراجز كان يرتجز بواسطة الاطمئنان إلى قومه وعشيرته خلافا لراجزى كربلاء الذين كانوا يعلمون نهاية أمرهم وهى الشهادة. نذكر

مثالا لتوضیح الأمر:

یرتجز أحد موالی الإمام (ع) بعد أن أرادَ الذهاب إلی معرکة القتال:

البَحرُ من طَعنِی وَضَربِی یصطَلِی وَالجَو مِن نُبلِی وَسَهمِی یَمتَلِی
إِذا حُسامِی عَن یَمینِی ینجَلِی یَنشَقُّ قَلبُ الحاسِدِ المبَجَّلِ

(المجلسی، ۱۴۰۴ق: ۳۰/۴۵؛ ابن شهر آشوب، ۱۳۷۹ش: ۱۰۴/۴۰)

ویرتجز عبدالله بن الحسن (ع):

إن تَنکرُونِی فَأَنا ابنُ حَیدَرَة ضَرغامُ آجام ولَیث قَسوَرة
عَلَی الأَعادِی مِثلُ ریحِ صَرصَرة أَکیلُکُم بِالسَّیفِ کَیلَ السَّندَرَة

(المجلسی، ۱۴۰۴ق: ۴۲/۴۵؛ ابن شهر آشوب، ۱۳۷۹ش: ۱۰۹/۴)

کما أنه نقل حول حرّ بن یزید ریاحی بأنه عندما عقروا حصانه فی المعرکة، نزل منه وارتجز کلیث هزبر:

إِن تَعقَرُونِی فَأَنا ابنُ الحُرِّ أَشجَعُ مَن ذَی لَبِدِ هُزَبر
ولَستُ بِالجِبانِ عِندَ الکَرِّ لکِنّی الوَقّافُ عِندَ الفَرِّ

(ابن أعثم، ۱۹۹۱م: ۱۰۲/۵؛ المجلسی، ۱۴۰۴ ق: ۱۴/۴۵؛ ابن کثیر، ۱۹۸۶م: ۱۸۲/۸؛ الطبری، ۱۹۶۷م: ۴۳۷/۵)

وهکذا یرتجز إبراهیم بن حصین الأسدی:

أَضرِبُ مِنکُم مَفصَلاً وساقاً لِیُهرِقَ الیَومَ دَمِی إِهراقا
ویَرزُقُ المَوتَ أَبُو إِسحاقا أعنی بَنی الفاجِرَةِ الفُسّاقا

(ابن شهر آشوب، ۱۳۷۹ش: ۱۰۵/۴؛ سپهر، لاتا: ۲۶۴/۶)

۵. الاشتیاق إلی الاستشهاد فی سبیل الله واستقبال الموت

هذا المفهوم من المفاهیم الشائعة فی أراجیز کربلاء. والراجز فی هذه الأراجیز یتکلم حول مبارزة الأعداء والافتخارات القومیة فی سبیل الدین وشوقه إلی لقاء الله والاستشهاد فی سبیله وفی سبیل الدفاع عن ذریة رسول الله(ص)…. ومن أجمل هذه

الأراجيز ما ارتجز به عمرو بن خالد الأزدی:

إِلَيکَ يـا نَفسُ إِلَـی الرَّحمنِ   تَمضيـنَ بِالـرُّوحِ والرَّيحـانِ
اليَـومَ تَجزينَ عَلی الإحسـانِ   قَـد کانَ مِنـکَ غابـر الزَّمانِ
ما خُطَّ فِی اللَّـوحِ لَدی الدَّيَّانِ   لا تَجزَعِـی فَـکُلُّ حَـيٍّ فانِ
والصَّبرُ أَحظـی لَکَ بِالأَمانِی   يا مَعشَـرَ الأَزُدَ بَنِی قَحطانِ

(ابن شهر آشوب، ۱۳۷۹ش: ۱۰۱/۴؛ المجلسی، ۱۴۰۴ق: ۱۸/۴۵؛ ابن أعثم، ۱۹۹۱م: ۱۰۵/۵؛ البلاذری، ۱۹۹۶م: ۱۹۶/۳)

وبعد استشهاده يأتی ابنه خالد بن عمرو الأزدی ويرتجز فی ساحة القتال:

صَبراً عَلَی المَوتِ بَنِی قَحطانِ   کَيما تَکُونُوا فِی رِضَی الرَّحمنِ
ذِی المَجدِ والعِـزَّهِ والبُرهانِ   وَذِی العُلی والطَّولِ والإحسانِ
يا أَبَتا قَـد صِرتُ فِی الجَنانِ   فِی قَصرِ رَبِّ حَسَـنَ البُنيانِ

(المجلسی، ۱۴۰۴ق: ۱۸/۴۵؛ ابن شهر آشوب، ۱۳۷۹ش: ۱۰۱/۴؛ ابن أعثم، ۱۹۹۱م: ۱۰۵/۵)

هـ. أما الأراجيز المنشدة بواسطة جيش عمر بن سعد

لم يذکر فی المصادر الروائية والتاريخية، أراجيز کثيرة من جيش عمر بن سعد فی يوم عاشوراء. هناک احتمالان فی سبب هذا الأمر: إما أنه ما نقلها الکتب التاريخية لأی سبب من الأسباب. والثانی أنهم لم يرتجزوا أصلا. ونحن نختار الاحتمال الثانی إذ إنّ أمراء جيش عمر بن سعد کانوا ينهون الناس من المقابلة وجها للوجه مع أصحاب سيد الشهداء (ع).

فيما يلی يرد رجز من حصين بن نمير ورجز من سنان بن أنس وشعر من بجير بن أوس لکن الأخير ليس فی بحر الرجز.

۱. حصين بن نمير

ورد فی کتاب (ناسخ التواريخ) أن حصين بن نمير هجم علی حبيب بن مظاهر وقرأ

هذا الرجز:

دونَـکَ ضَـربُ السَّـيفِ يا   وافـاکَ لَيـثٌ بَطَـلٌ نَجيبُ
حَبيبُ فِی کَفِّـه مُهَنَّدٌ قَضيبُ   کأنَّـه مِـن لَمعَـةِ حَليـبُ

(سپهر، لاتا: ۲۵۶/۶)

۲. سنان بن أنس

وجاء فی کتاب (بحار الأنوار) أن سنان حينما أتی برأس الإمام الحسين (ع) إلی عبيد الله بن زياد قال:

إملأ رِکابی فِضَّـةً وذَهَبا   أنـا قَتَلتُ المَلِـکَ المحَجَّبا
قَتَلـتُ خَيرَ النّـاسِ أُمّاً وأَبا   وخَيرَهُم إذ يَنسِبُون نَسَبـا

عندئذ غضب عبيد الله من هذا الكلام وقال له: «وَيحَکَ فَإِن عَلِمتَ أَنَّهُ خَيرَ النّاسِ أباً وأمّاً لِمَ قَتَلتَهُ؟» ويأمر بضرب عنقه. (المجلسی، ۱۴۰۴ق: ۳۲۲/۴۴؛ ابن شهر آشوب، ۱۳۷۹ش: ۱۱۳/۴؛ الفتال، لاتا: ۱۹۰/۱؛ الطبری، ۱۹۶۷م: ۳۹۰/۵)

۳. بجير بن أوس

ورد فی کتاب (ناسخ التواريخ) أن بجير بن أوس الذی کان من جيش عمر بن سعد، يقتل أحد أصحاب سيد الشهداء (ع) باسم برير بن خضير ثم يرتجز:

سَـلِی تُخَبِّری عَنِّی وأَنتَ ذَميمَة   غَداة حُسَـينٍ والرِّماحُ شَـوارِعُ
أَلَم آتِ أقصی ما کَرِهتُ ولم يَحُل   غَـداة الوَغی وَالرَّوع ما اَنا صانِعُ
مَعـی مَزَنـی لَـم تَخُنـهُ کُعُوبُه   وأَبيَض مَشـحوذُ الغَرارين قاطِعُ
فَجَرَّدتُهُ فِی عُصَبَـةٍ لَيسَ دينُهُم   کَدينـی وإنِّـی بَعـدَ ذاکَ لَقانِعُ
وَقَد صَبَرُوا لِلطَّعنِ والضَّربِ حُسُرا   وقَد جالَـدُوا لَو أَنَّ ذلـکَ نافِعُ
فَأَبلِـغ عُبيـدَ اللهِ إذ مـا لَقيتَـهُ   بِأَنّـی مُطيـعٌ لِلخَليفَـهِ سـامِعُ
قَتَلتُ بُرَيراً ثُمَّ جُلتُ لِهِمَّةٍ   غَداة الوَغی لَمّا دَعا مَن يُقارِعُ

(سپهر، لاتا: ۶/ ۲۵۰؛ المجلسی، ۱۴۰۴ق: ۱۵/۴۵؛ الطبری، ۱۹۶۷م: ۴۳۳/۵)

من خلال ما تقدّم يستنتج أن أراجيز كربلاء يعد مظهرا لتقابل السنن الجاهلية والروحية الإسلامية. وها هنا يقول الإمام على (ع) لأهل الكوفة: «ألاَ وَإنَّكُمْ قَد نَفَضْتُمْ أيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطاعَه، وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ الله الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ، بَأَحْكَام الْجَاهِليَّه... وَاعْلَمُوا أنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَه أَعْرَاباً، وَبَعْدَ الْمُوالاَة أحْزَاباً، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإسْلاَمِ إلاَّ بِاسْمِهِ، وَلاَ تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إلاَّ رَسْمَهُ.» (الإمام على(ع)، خ۱۹۲: ۹۰)

ونستطيع أن نرى ذروة هذا التقابل والرجوع إلى الجاهلية وهب نيران العصبية القومية فى كلمات الإمام الحسين (ع) عندما يخاطبهم الإمام (ع) ويقول: «وَيلَكُم! عَلى مَا تُقاتِلُونِی؟! عَلى حَقٍّ تَرَكتُهُ أَم عَلى سُنَّهٍ غَيّرتُها أَم عَلى شَريعَهٍ بَدَّلتُها؟» وهم أجابوا: «بَل نُقاتِلُکَ بُغضاً مِنّا لِأَبيکَ وما فَعَلَ بِأشياخِنا يَومَ بَدرٍ وحُنَينٍ.» (سپهر، لاتا: ۲۸۶/۶)

أدب المقاومة فی كربلاء:

أحدثت واقعة كربلاء ويوم الطفّ حركة شعبية – سياسية بين المسلمين، أدت إلى إسقاط الأمويين، وكذلک أحدث أدب عاشوراء فى الأدب العربى حركة بديعة باسم أدب المقاومة الذى ظهر بصورة الأشعار السياسية فى الدفاع عن أهل البيت (ع). على سبيل المثال نستطيع أن نشير إلى رجز (سليمان بن صرد) قائد قيام التوابين فى معركة عين الوردة أمام جيش الشام. ورد فى كتاب (الفتوح):

«وَجَعَلَ سُلَيمانُ بنُ صُرَدٍ يُنادِی بِأَعلى صَوتِه: يا شيعَةَ آلِ مُحَمَّدٍ! يا مَن يَطلُبُ بِدَمِ الشَّهيدِ ابنِ فاطِمَةَ! أبشِرُوا بِكَرامَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَواللهَ ما بَينَكُم وبَينَ الشَّهادَةِ ودُخُولِ الجَنَّةِ والرّاحَةِ مِن هذِه الدُّنيا إلّا فِراقُ الأَنفُسِ والتَّوبَةُ والوَفاءُ بِالعَهد. ثُمَّ كَسَرَ سُلَيمانُ بنُ صُرَد جَفنَ سَيفِهِ وتَقَدَّمَ نَحو أَهلَ الشّامِ وهُو يَرتَجزُ ويَقُولُ:

إلَيـــکَ رَبِّی تُبتُ مِـــن ذُنُوبِی وَقَد عَلانِی فِی الوَرى مَشيبِی
فَارحَم عُبَيداً غَيرَ ما تَكذيبِی وَاغفِر ذُنُوبِی سَـــيِّدِی وحُوبِی

ثُمَ حَمَلَ ولَم يَزَل يُقاتِلُ حَتّى قَتَلَ مِنهُم جَماعَةً وقُتِل.» (ابن أعثم، ۱۹۹۱م: ۲۲۲/۶)

والمثال الآخر هو رجز (عبيد الله بن حر) عندما ندم عن عدم نصرته سيد الشهداء

(ع):

فَيا لَکَ حَسـرَة ما دُمـتُ حَيّاً   تُـرَدِّدُ بَيـنَ حَلقِـى والتَّراقِى
حُسَينٌ حِينَ يَطلُبُ بَذلَ نَصرِى   عَلـى أَهـلِ العَداوَةِ والشِّـقاقِ
فَما أنسـى غَـداةً يَقُـولُ حَزَنا   أَتَترُكُنِـى وَتَدمَـعُ لِانطِـلاقِ؟
فَلَـو فَلَـقَ التَّلَهُفُ قَلـبَ حَيٍّ   لَهُـم القَلـبُ مِنِّـى بِانفِـلاقِ

(الدينورى، ۱۳۶۸ش: ۲۶۲)

النتيجة

وقد توصلت هذه الدراسة إلى عدّة نتائج من أهمّها:

- بعد دراسة الرجز نستطيع القول بأن معظم الأراجير الجاهلية كانت حول موضوعات نفسانية وأرضية وغير شاملة للقيم الإنسانية؛ بل وفى بعض الأحيان كانت تعتبر بعض الأمور المشتركة بين الإنسان والحيوان أمرا ذا قيمة يجدر التفاخر به مثل التفاخر إلى القتل والنحب والزور والفجور و... وذلک خلافا للأراجيز الموجودة فى العصر الإسلامى التى كانت معظمها حول القيم المتعالية الإنسانية والإلهية مثل التفاخر إلى حماية المظلومين وجلب رضا الله ورسوله وترک بعض اللذات الدنيوية للحصول على الدرجات الأخروية و... لاسيما فى أراجيز عاشوراء التى نعتقد إنها تكون شمس تعالى الرجز فى العصر الإسلامى.

- إن الأراجيز المنشدة فى المعارک الأولى من العصر الإسلامى مثل بدر، وأحد، وخندق، وصفين لا يمكنها أن تكون بصورة كاملة مرآة لتكامل الشعر والتفكر الإسلامى.

- إن أراجيز كربلاء يعدّ نموذجا متكاملا من التعاليم الإسلامية التى تشكّل معانيها الأصلية مفاهيم مثل الشوق إلى الشهادة والدفاع عن أهل البيت والصمود أمام الظلم. كذلک هى تعدّ نموذجا متعاليا من أدب المقاومة الذى استطاع أن يؤثر فى الأدب السياسى الذى ظهر بعده.

- إن أراجيز عاشورا بالمقارنة مع الأراجيز المنشدة من قبل الكوفيين يحتسب كميدان تقابل بين القيم الإسلامية والقيم السائدة فى الساحة الجاهلية، انطلاقا من هذا الموقف نستطيع أن نقارن قيام الإمام حسين(ع) إلى الكوفة بالهجرة النبوية إلى المدينة، فى أن هجرته (ص) كان بقصد بناء الإسلام وهجرة الإمام الحسين (ع) كان بقصد حفظه وإصلاحه.

المصادر والمراجع

الإمام على بن أبى‌طالب(ع). ۱۴۲۲ق. *نهج البلاغة*. قم: مؤسسة النشر الإسلامى.

ابن أعثم، أحمد الكوفى. ۱۴۱۱ق/۱۹۹۱م. *الفتوح*. تحقيق على شيرى. بيروت: دارالأضواء.

ابن الأثير، على بن أبى الكرم. ۱۳۸۵ق/۱۹۶۵م. *الكامل فى التاريخ*. بيروت: دار صادر - دار بيروت.

ابن جنى، أبى الفتح عثمان. ۱۴۰۷ق/۱۹۸۷م. *كتاب العروض*. تحقيق: د أحمد فوزى الهيب. الكويت: دار القلم.

ابن شهرآشوب، محمد. ۱۳۷۹ش. *مناقب آل أبى طالب*. قم: مؤسسة العلامة للنشر.

ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل بن عمر. ۱۴۰۷ق/۱۹۸۶ م. *البداية والنهاية*. بيروت: دار الفكر.

ابن منظور، محمد بن مكرم. لاتا. *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

أبوداود، سليمان بن الأشعث. لاتا. *سنن أبى داود*. تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد. بيروت: دار الفكر.

امرؤالقيس. لاتا. *الديوان*. تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. القاهرة: دارالمعارف.

بروكلمان، كارل. لاتا. *تاريخ الأدب العربى*. ترجمه الدكتور عبدالرحيم نجار. قاهرة: دار المعارف.

البلاذرى، أحمد بن يحيى بن جابر. ۱۴۱۷ق/۱۹۹۶. *جمل من أنساب الأشراف*. تحقيق سهيل زكار ورياض زركلى. بيروت: دار الفكر.

البيهقى، أبوبكر أحمد بن الحسين بن على بن موسى. ۱۴۱۴ق/۱۹۹۴م. *سنن البيهقى الكبرى*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكة المكرمة: مكتبة دار الباز.

الجاحظ، عمرو بن بحر. ۱۹۶۸م. *البيان والتبيين*. تحقيق: المحامى فوزى عطوى. بيروت: دار صعب.

الدينورى، أحمد بن داود. ۱۳۶۸ش. *الأخبار الطوال*. تحقيق عبد المنعم عامر. قم: منشورات الرضى.

الذهبى، محمد بن أحمد. ۱۴۱۳ق/۱۹۹۳م. *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*. تحقيق عمر عبد السلام تدمرى. بيروت: دار الكتاب العربى.

سپهر، میرزا محمد تقی (لسان الملک). لاتا. *ناسخ التواريخ*. تهران: انتشارات اميركبير.

الشيخ الصدوق،۱۴۰۴ق. *الأمالی*. قم: المكتبة الإسلامية.

الطبری، محمد بن جرير. ۱۳۸۷ق/۱۹۶۷. *تاريخ الأمم والملوک*. تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم. بيروت: دار التراث.

أحمد، عدنان محمد. ۲۰۰۵م. *الشعر فی موقعة صفين*. مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ۲۷، العدد۱.

عمروبن كلثوم. ۱۴۴۱ق/۱۹۹۱م. *الديوان*. جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب. بيروت: دار الكتاب العربی.

الفتال، محمد بن الحسن. لاتا. *روضة الواعظين*. قم: دار الرضی.

لبيد بن ربيعة. ۱۴۱۴ق/۱۹۹۳م. *الديوان*. شرح الطوسی. بيروت: دار الكتاب العربی.

مايو، قدری. ۱۴۲۱ق/۲۰۰۰م. *المعين فی العروض والقافية*. بيروت: عالم الكتاب.

المجلسی، محمد باقر. ۱۴۰۴ق. *بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الأطهار*. بيروت: مؤسسة الوفاء.

المسعودی، علی بن الحسين بن علی. ۱۴۰۹ق. *مروج الذهب ومعادن الجوهر*. تحقيق أسعد داغر. قم: دار الهجرة.

المنقری، نصر بن مزاحم. ۱۴۰۴ق. (۱۳۸۲ش. افست قم). *وقعة صفين*. تحقيق عبد السلام محمد هارون. القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة. قم(افست): منشورات مكتبة المرعشی النجفی.

النابغة الذبيانی. ۱۴۴۱ق/۱۹۹۱م. *الديوان*. شرح وتعليق: الدكتور حنا نصر الحتی. بيروت: دار الكتاب العربی.

الواقدی، محمد بن عمر. ۱۴۰۹ق/۱۹۸۹م. *المغازی*. تحقيق مارسدن جونس. بيروت: مؤسسة الأعلمی.